

الكشاف

لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآخرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين . والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم . والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم . ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم واراؤهم . ما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآخرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين . والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم . والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم . ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم واراؤهم .

والشعور علم الشيء علم حس من الشعار . ومشاعر الإنسان : حواسه . والمعنى أن لحوق ضرر فلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له . واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازاً فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول : في جوفه مرض . والمجاز أن يستعار لبعض - أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائص ذلك . والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلى على رسول الله ﷺ A والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله : " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر " آل عمران : ويتحرقون عليهم حسداً " إن تمسكم حسنة تسؤهم " آل عمران : وناهيك مما كان من ابن أبي وقول سعد بن عباد لرسول الله ﷺ A " اعف عنه يا رسول الله ﷺ واصفح فواﷻ لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصاية فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك " أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به : أن ربح الإسلام تهب حيناً ثم تسكن ولواءه يخفق أياماً ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله . وإما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جنباً وخوراً حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة . قال رسول الله ﷺ A : " نصرت بالرعب مسيرة شهر " . ومعنى زيادة الله ﷻ إياهم مرضاً أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفراً إلى كفرهم فكأن الله ﷻ هو الذي زادهم ما ازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة في قوله : " فزادتهم رجساً إلى رجسهم " التوبة : لكونها سبباً . أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسلاً

في البلاد ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا وغلًا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلّة طمع
فيما عقدوا به رجاءهم وجينا وخورا . ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع . وقرأ أبو
عمرو في رواية الأصمعي : مرض ومرضا يسكون الرء يقال ألم فهو " أليم " كوجع فهو وجيع
ووصف العذاب به نحو قوله : " تحية بينهم ضرب وجيع " وهذا على طريقة قولهم : جد جده .
والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد . والمراد بكذبهم قولهم " آمنا با " وباليوم
الآخر " وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخيل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم .
ونحوه قوله تعالى : " مما خطيأتهم أغرقوا " نوح : والقوم كفرة . وإنما خصت الخطيئات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها . والكذب : الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو
قبيح كله . وأما ما يروى عن إبراهيم عليه السلام .
" أنه كذب ثلاث كذبات " فالمراد التعريض . ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به .
وعن أبي بكر B وروى مرفوعا : " إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان " وقرئ " يكذبون " من
كذبه الذي هو نقيض صدقه أو من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل : صدق .
ونظيرهما : بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص . أو بمعنى الكثرة كقولهم : موتت البهائم
وبركت الإبل أو من قولهم : كذب الوحشي إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق
متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذذب . وقال عليه السلام : " مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة " .